نصوص لم تطبق

النبي صلى الله عليه وسلم ترك الكعبة بيت الله مبنية على هيئتها، على الرغم من أن حجر إسماعيل جزء من الكعبة، وقد كان بإمكانه صلى الله عليه وسلم أن يهدم البيت وأن يُدخل حجر إسماعيل فيه، لكنه قال لعائشة رضي الله عنها في الحديث الذي رواه غير واحد بروايات مختلفة: ولولا أن قومك حديثو عهد بكفر، لهدمت البيت ولأدخلت من الحجر ستة أذرع. فالنبي لم يفعل هذا، وهو هدم البيت وإعادة بناءه إلا خوف الفتنة، وبسبب أن الواقع لا يتحمل النص.

إن المراحل الانتقالية في تاريخ الأمم وتاريخ الثورات، في حاجة إلى فقه خاص بها، لأنها تمثل استثناء، وهكذا الحال في مرحلتنا نحن، وهي أيضًا مرحلة انتقالية، يسيطر عليها الوجدان، وينزوي فيها العقل في منطقة معتمة، وهنا مكمن الخطورة.

وهذا نص الحديث:

قالت عائشة: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: لولا حداثة عهد قومك بالكفر لنقضت الكعبة ولجعلتها على أساس إبراهيم فإن قريشًا حين بنت البيت استقصرت ولجعلت لها خلفًا) [رواه مسلم وغيره].

الموقف الثاني هو موقف النبي صلى الله عليه وسلم من المنافقين، برغم تجاوزهم، وإساءة أدبهم معه صلى الله عليه وسلم، ونزول آيات القرآن بتكفير بعضهم، ومع ذلك فإن الواقع كان له سلطة أخرى تمنع تطبيق النص بطريقة مجردة. وهذا نص حديث أنه لم يقتل المنافقين:

(أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ثنا أحمد بن عبد الجبار ثنا يونس بن بكير عن ابن إسحاق في قصة تبوك وما كان على الثنية من هم المنافقين أن يرجموا فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما كان من أقوالهم وإطلاع الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم على أسرارهم، قال فانحدر رسول الله صلى الله عليه وسلم من الثنية وقال لصاحبيه -يعنى حذيفة وعمار- هل تدرون ما أراد القوم، قالوا الله ورسوله أعلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أرادوا أن يرجموني في الثنية فيطرحوني منها، فقالا أفلا تأمرنا يا رسول الله فنضرب أعناقهم إذا اجتمع إليك الناس، فقال أكره أن يتحدث الناس أن محمدًا قد وضع يده في أصحابه يقتلهم) رواه البيهقي.

ومن الآيات التي تفيد كفر بعض المنافقين، ومع ذلك لم يقم عليهم الحد مراعاة للواقع:

(لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ) [التوبة: ٦٦].

(يحْلِفُونَ بِاللّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلاَمِهِمْ وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْ وَمَا نَقَمُواْ إِلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ وَإِن يَتَوَلَّوْاْ يُعَذِّبْهُمُ اللّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الأَرْضِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ) [التوبة: ٧٤].

(ذلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ)
[المنافقون: ٣]

obeikan.com